الفصل الرابع

بناء نفسية الطفل الإسلامية

تمهيد .

المبحث الأول: البناء العبادى والروحى للطفل.

المبحث الثانى:البناء العاطفى والنفسى للطفل.

المبحث الثالث: تهذيب الدافع الجنسى للطفل.

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد

تتشكل نفسية الطفل حسب مفهوم الطفل عن ميوله وغرائزه وفق قاعدة العقيدة التى تأمر وتنهى التى يؤمن بها، وهكذا ينشأ فى الطفل هذا حلال وهذا حرام؛ لأن العقيدة التى يؤمن بها تأمره وتنهاه ، فهو أسرع التزاماً من الكبار؛لأن ميوله وغرائزه فى طور التشكل ألين كما أن سلطان الغرائز والشهوات أضعف منه عند الكبار .

فالعبادة تغذى نفسه وروحه، وتقوى صلته بالله تعالى، وتزيده قوة وثقة نفسية.

والعاطفة عندما يأخذها بجرعات متوازنة، ستشكل لديه نفسية متوازنة.

وعندما يتهذب الدافع الجنسى لديه ، فإن نفسيته ستصبح أكثر استقراراً من الأطفال الذين لم تتهذب دوافعهم الجنسية ، وأطلقوا لها العنان نتيجة إغفال تربيتهم، أو تشكلت لديهم مفاهيم الإباحية الجنسية ، سوا عبر أسرهم ،أو مجتمعهم، أو إعلامهم .

لهذا فإن العناية بنفسية الطفل بناء وتهذيباً ، سيعين هذا الطفل ، على توازن المزاج، وبهدف تحقيق الميول والغرائز وفق العقيدة ، وبالتالى يمتلك نفسية قوية فى مواجهة الأحداث ، كما يمتلك ميزاناً نفسياً فى تحقيق الرغبات والميول وفق ميزان العقيدة الإسلامية التى يتلقاها من القرآن والسنة الصحيحة .

المراحل النفسية التى يمر بها الطفل :

يمر الطفل بعدة مراحل فى نموه الجسمى والنفسى، فالجسم يزداد طولاً وقوة،

والنفس تتنقل من مرحلة إلى أخرى.

وقد وردت عدة أحاديث نبوية تظهر هذه المراحل، وتبين التطور التربوى المناسب لكل مرحلة.

فالحديث الذى رواه أبو داود قوله ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين (وفى رواية : وهم أبناء ست سنين) واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

أظهر هذا الحديث أن الطفل من الفطام إلى السبع تتشكل عنده مرحلة أولى ومن السبع إلى العشر مرحلة ثانية، ثم من العاشرة إلى البلوغ مرحلة ثالثة أخيرة.

وهذه المراحل الثلاث يكون التعامل معه حسب الحديث التالى:

روى ابن أبى الدنيا (١) – بسند ضعيف – عن أبى جبيرة بن الضحاك ﷺ قال : قال النبى ﷺ :

«الولد سيد سبع سنين ، وعبد سبع سنين » ،وقال الراوى : وأراه قال : «ووزير سبع سنين ، فإن رضيت مُكانفتهُ لإحدى وعشرين ، وألا فاضرب على جنبه، فقد عذرت الله عز وجل فيه » .

فالطفل إلى سبع سنين يعود تنفيذ الأوامر ، ويكون التقاطه من القدوة الحسنة أمامه سريعة جداً ، لأنه يريد أن يتعامل مع العالم الخارجى ، فهذه المرحلة تمثل بالنسبة إلية مرحلة السيادة ، بحيث تلبى طلباته _ غير الشاذة _ ويرفق به ، ويبدأ يكتسب المهارات كلها من والديه وأصدقائه من الأطفال .

والمرحلة الثانية : يصبح منفذاً لما يؤمر به ، ويدرب تدريباً قوياً على تنفيذ الأوامر ، وذلك ليتهيأ لاستقبال الحياة فى خارج المنزل بقوة ونشاط .

(١) كتاب العيال لابن أبى الدنيا (٢ / ٦١٩) تحقيق : الدكتور نجم خلف .

والمرحلة الثالثة : مرحلة الوزارة والاستعانة به فى كل الأمور ؛ لأنه تجاوز مرحلة تنفيذ الأوامر ، والتأهيل لها ، إلى مرحلة حمل المسؤولية عن الأسرة ، فى كل ما تتطلبه من أمور داخلية وخارجية .

فإدراك هذه المراحل من قبل الوالدين والمربين، تساعدهم على اتخاذ الأمر المناسب للمرحلة التى يكون فيها الطفل أمامهم.

روى ابن حبان عن أنس ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال : « الغلام يُعقّ عنه يوم السابع، ويسمى ، ويماط عنه الأذى .

فإذا بلغ ست سنين أُدّب.

وإذا بلغ تسع سنين عُزل فراشه .

فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضُرب على الصلاة والصوم .

فإذا بلغ ست عشرة زوّجهُ أبوه.

ثم أخذه بيده، وقال: قد أدبتك ، وعلمتك ، و أنكحتك ، أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا ، وعذابك فى الآخرة ».

فالتدرج فى الخطوات ، ومعرفة طبيعة كل مرحلة ، تعين على إصابة الهدف التربوى وتحقيقه فى عالم الواقع . والله الموفق .

obeikandl.com

المبحث الأول
البناء العبادى والروحى للطفل

obeikandl.com

قال تعالى:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه].

obeikandl.com

البناء العبادى والروحى للطفل

تمهيد:

بناء العبادة يعد مكملاً لبناء العقيدة إذ العبادة تغذى العقيدة بروحها، كما أنها المنعكس الذى يعكس صورة العقيدة ويجسمها ، والطفل عندما يتوجه لنداء ربه، ويستجيب لأوامره ؛ فإنما هو يلبى غريزة فطرية فى نفسه ؛ فيشبعها ويرويها .

وينبه الإمام الحجة أبو حامد الغزالى رحمه الله فى كتابه « قواعد الاعتقاد »[1] إلى أهمية ودور العبادة فى تركيز وتثبيت العقيدة فى نفس الطفل فيقول :

«وليس الطريق فى تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام، بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره، وقراءة الحديث ومعانيه، ويشتغل بوظائف العبادات. فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع من أدلة القرآن وحججه، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها، وبما يسرى إليه من مشاهدة الصالحين ومجالسهم ، وسيماهم وسماعهم وهيئاتهم فى الخضوع لله عز وجل والخوف منه، والاستكانة له، فيكون أول التلقين كإلقاء بذر فى صدر، وتكون هذه الأسباب كالسقى و التربية له، حتى ينمو ذلك البذر ويقوى، ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها فى السماء .

ثم الصبى إذا وقع نشوؤه على هذه العقيدة ، إن اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ، ولكنه يسلم فى الآخرة باعتقاد أهل الحق ، إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد ، فأما البحث والتفتيش ،

(١) تحقيق موسى محمد على ، طبع عالم الكتب (ص٧٦) .

وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلاً ، وإن أراد أن يكون من سالكى طريق الآخرة ، وساعده التوفيق ،حتى اشتغل بالعمل ، ولازم التقوى ، ونهى النفس عن الهوى ، واشتغل بالرياضة والمجاهدة، انفتحت له أبواب من الهداية ، تكشف عن حقائق هذه العقيدة ، بنور إلهى يُقذف فى قلبه، بسبب المجاهدة ؛ تحقيقاً لوعده عز وجل إذ قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت] .

وإلى هذا أشار الدكتور سعيد رمضان البوطى بقوله : ولكن لا بد لكى يظل غرس العقيدة قوياً فى النفس ، من أن يسقى بماء العبادة ؛ بمختلف صورها، وأشكالها ، فبذلك تنمو العقيدة فى الفؤاد ، وتترعرع ، وتثبت أمام عواصف الحياة وزعازعها[1] .

والطفولة ليست مرحلة تكليف، إنما هى مرحلة إعداد وتدريب وتعويد للوصول إلى مرحلة التكليف عند البلوغ ؛ ليسهل عليه أداء الواجبات والفرائض، وليكون على أتم الاستعداد لخوض غمار الحياة بكل ثقة وانطلاق، والعبادة لله تعالى تفعل فى نفس الطفل فعلاً عجيباً، فهى تشعره بالاتصال بالله جلّ وعلا، وهى تهدئ من ثوراته النفسية، وهى تلجم انفعالاته الغضبية، فتجعله سوياً مستقيماً، إذ كثافة الشهوات ضعيفة فى تلك الفترة، مما يجعل روحه تتجاوب أكثر فأكثر بمناجاة الله، ويأخذ الخشوع المساحة الكبرى من الجسد، وهو يرتل آية أو يسمعها، أو هو واقف فى الصلاة أو ساجد فيها، وهو يسمع أذان الإفطار ليبدأ بالطعام والشراب؛ بعد أن صام يومه، وهناك أسرار كثيرة للعبادة لا تعد ولا تحصى، تؤثر فى الطفل مما يزيد قوته ونشاطه، وبذلك تفضل التربية النبوية عن أى تربية كانت .

وإن رسول الله ﷺ ليبشر الأطفال الذين نشؤوا على عبادة الله ـ عز وجل، ببشارة عظيمة .

---

(١) فى كتاب : تجربة التربية الإسلامية (ص٤٠) .

فمما رواه الطبرانى عن أبى أمامة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من ناشئ ينشأ فى العبادة حتى يدركه الموت، إلا أعطاه الله أجر تسعة وتسعين صديقاً».

وروى ابن عبد البر فى التمهيد بسنده أن عمر بن الخطاب ﷺ قال : تكتب للصبى حسناته، ولا تكتب عليه سيئاته [1] .

ـ ونلاحظ من توجيهات النبى ﷺ أنه ركز على سبعة أسس، وهى :

الأساس العبادى الأول : الصلاة :

وتمر بمراحل :

١ـ مرحلة الأمر بالصلاة :

يبدأ الوالدان بتوجيه الأوامر للطفل بأن يقف معهما فى الصلاة، وذلك فى بداية وعيه، وإدراكه يمينه من يساره. لما روى الطبرانى عن عبد الله بن حبيب أن النبى ﷺ قال : « إذا عرف الغلام يمينه من شماله فمروه بالصلاة ».

وأخرج أبو داود عن معاذ عن عبد الله بن حبيب الجهنى قال_راويه هشام بن سعد:دخلنا عليه فقال لامرأته: متى يصلى الصبى ؟قالت: نعم كان رجل منا يذكر عن رسول الله ﷺ أنه سئل عن ذلك ؟ فقال : « إذا عرف يمينه من شماله فمروه بالصلاة »[2].

ومما ورد من آثار الصحابة والتابعين فى أمر صلاة الطفل، ما أورده ابن أبى الدنيا فى كتاب (العيال) (١/ ٤٦٣) نقتطف منه ما يلى :

عن ابن هشام عروة عن أبيه أنه كان يأمر بنيه بالصيام إذا أطاقوه، وبالصلاة إذا عقلُوا .

---

(١) فتح العلى المالك فى الفتوى على مذهب الإمام مالك لابن فرحون المالكى (١/ ٨٨) .
(٢) ضعيف . انظر: ضعيف الجامع للألبانى ،رقم (٦٩٣) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: كان يعلم الصبى الصلاة إذا عرف يمينه من شماله.

وعن جندب بن أبى ثابت قال: كانوا يعلمون الصبى الصلاة إذا عدَّ عشرين.

وعن ابن أبى الموالى قال: حدثنى حسنُ بن على بن حسن بن على عن أبيه قال: دخلتُ مع أبى على بن حسن بن على فقال: كم لابنك هذا من سَنَةٍ؟ قال: سبعُ سنين، قال: فمُرْه بالصلاة .

ومر عمر بن الخطاب ﷺ على امرأة وهى تُوقظ ابنها لصلاة الصبح فهو يأبى، فقال: دعيه، لا تُعنِّيه؛ فإنها ليست عليه حتى يعقلها .

ولا بأس بتشجيع الطفل وتحفيزه على الصلاة بالعطايا والهدايا .

فعن الفضيل بن مرزوق قال : قلتُ لسفيان : أضربُ ولدى على الصلاة ؟ قال : أَجِدَّه[1] .

٢- مرحلة تعليم الطفل الصلاة :

حيث يبدأ الوالدن بتعليم أركان الصلاة وواجباتها ومفسداتها، وقد حدد النبىﷺ سن السابعة بداية مرحلة التعليم :

فقد روى أبو داود عن سبرة بن معبد الجهنى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «مروا الصبى بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشره سنين فاضربوه عليها » .

وفى رواية الترمذى قال : «علموا الصبى الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر » [2] .

(١) أَجَدَّ الولدُ: صار ذا جِدٍّ واجتهاد، أي: شجِّعه وحفّزه، انظر:تحقيق كتاب العيال .
(٢)أبو داود برقم(٤٩٤)والترمذى برقم(٤٠٧) وإسناده حسن. انظر:جامع الأصول(٥/ ١٨٧) تحقيق الأرناؤوط. ورواه البيهقى فى سننه(٣/ ٨٤) ورواه الحاكم فى مستدركه(١/ ٢٥٨)وقال :صحيح على شرط مسلم، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه (٢/ ١٠٢) .

وفى رواية أحمد (٣/ ٤٠٤): « إذا بلغ الغلام سبع سنين؛ أُمر بالصلاة، فإذا بلغ عشراً ضُرب عليها ».

وفى رواية الدارقطنى (١/ ٢٣٠) : «مُروا صبيانكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر » .

وكان رسول الله ﷺ يباشر بنفسه تعليم الأطفال ما يحتاجونه فى الصلاة : أخرج أبو داود والترمذى والنسائى عن الحسن بن على بن أبى طالب ﷺ قال: علمنى رسول الله ﷺ كلمات أقولهن فى الوتر : «اللهم اهدنى فيمن هديت، وعافنى فيمن عافيت، وتولنى فيمن توليت، وبارك لى فيما أعطيت، وقنى شرّ ما قضيت، فإنك تقضى بالحق ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت» [(١)].

ويصحح ﷺ لهم أخطاءهم فى صلاتهم:

روى الترمذى عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: رأى رسول الله ﷺ غلاماً لنا يقال له : أفلح، إذا سجد نفخ، فقال : « يا أفلح، ترِّب وجهك» [(٢)].

ويعلمهم الأذان كذلك :

قال أبو محذورة [(٣)] : خرجت فى عشرة فتيان مع النبى ﷺ وهو أبغض الناس إلينا، فأذَّنوا، فقمنا نؤذن نستهزئ بهم، فقال رسول الله ﷺ : « ائتونى بهؤلاء الفتيان»، فقال: أذِّنوا، فكنت أحدهم ، فقال النبى ﷺ : « نعم هذا الذى سمعت صوته، اذهب فأذِّن لأهل مكة »، فمسح على ناصيتى وقال : « قل »:

---

(١) ورواه ابن خزيمة فى صحيحه (٢/ ١٥٢) قال المحقق مصطفى الأعظمى : إسناده صحيح، ورواه أحمد (١/ ٢٠٠) من طريق شعبة .

(٢) إسناده ضعيف . انظر: جامع الأصول ، تحقيق الأرناؤوط (٥/ ٥٠١) .

(٣) رواية حديث أبى محذورة رويت بعدة روايات مختلفة، اخترنا ما هو الأنسب للتوجيه التربوى، حيث الأحكام الفقهية تتلقى من كتب الفقه الإسلامى . فالحديث قد يكون منسوخاً من ناحية الأحكام الفقهية، إلا أنه ليس منسوخاً من الناحية التربوية .

ـ الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر.

ـ أشهد أن لا إله إلا الله مرتين.

ـ وأشهد أن محمداً رسول الله مرتين.

ـ حى على الصلاة حى على الصلاة.

ـ حى على الفلاح حى على الفلاح.

ـ الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله .

وإذا أذنت بالأول فى الصبح فقل : الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم.

وإذا أقمت فقلها مرتين قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، أسمعت» قال:

وكان أبو محذورة: لا يجز ناصيته، ولا يفرقها،لأن رسول الله ﷺ مسح عليها.

رواه الدار قطنى (١/ ٢٣٥)ورواه أحمد(٣/ ٤٠٨). ورواه مسلم وأصحاب السنن الأربعة.

ومما كان يحرص عليها الآباء استدعاء رسول اللهﷺ ليصلى بهم فى بيوتهم، فيزداد البيت بركة وأُنساً، ويرى الصغار صلاة رسول اللهﷺ:

أخرج البخارى ومسلم عن أنس ﷺ أن جدته مُليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته،فأكل منه، فقال: «قوموا فلأصلى بكم» فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لبث، فنضحته بماء، فقام رسول الله ﷺ ، واليتيم معي، والعجوز من ورائنا، فصلى بنا ركعتين.

إن دعوة الوالدين للصالحين والصالحات إلى بيوتهم، ورؤية الصغار لصلاتهم فى البيت، تكسب الطفل حب الصلاة وتعمق فى نفسه أركانها وسننها، وتربه قيام المجتمع بواجب الصلاة، فيتسارع لأدائها، ويتنشط لفعلها، مما يساعد الوالدين بحيث لا يجدون مشقة فى تعويد الطفل فريضة الصلاة.

وكان ﷺ يوجه خطاباً قبل كل صلاة يصف الأطفال فى الصف الأخير، روى مسلم عن أبى مسعود قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا فى الصلاة ويقول «استووا، ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم، ليلينى منكم أولو الأحلام والنُّهَى ـ هم الرجال البالغون ـ ثم الذين يلونهم،ثم الذين يلونهم» .

وعن راشد بن سعد قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُقام الصبيان فى الصف الأول.

ويوجه ﷺ نداء للأطفال بعدم الالتفات يمنة ويسرة أثناء الصلاة، وما هذا إلا دليل الاهتمام بتعليم الطفل كيفية الصلاة: أخرج الترمذى عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ « يا بني،إياك والالتفات فى الصلاة، فإن الالتفات فى الصلاة هلكة، فإن كان ولا بد ففى التطوع، لا فى الفريضة» (١) .

وبذلك يعلم الرسول ﷺ الطفل أحكام الفريضة والتطوع.

وسار الصحابة على منهج النبوة، فبدؤوا بتعليم أطفالهم بأنفسهم، فهذا على ـ كرم الله وجهه ـ يدعو الحسين، فيعلمه كيفية الوضوء، ويجيبه على استفساراته فيه:

أخرج أبو داود عن الحسين بن على رضى الله عنهما قال : دعانى أبى على بوضوء، فقربته له، فبدأ فغسل كفيّه ثلاث مرات قبل أن يدخلهما فى وضوئه، ثم مضمض ثلاثاً، واستنشق ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً ، ثم اليسرى كذلك، ثم مسح برأسه مسحة واحدة، ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاثاً ، ثم اليسرى كذلك، ثم قام قائماً فقال: ناولنى فناولته الإناء الذى فيه فضل وضوئه، ثم شرب من فضل وضوئه،قائماً فعجبت، فلما رآنى قال: لا تعجب، فإنى رأيت أباك النبيﷺ يصنع مثل ما رأيتنى صنعت، يقوم لوضوئه

(١) رواه الترمذى برقم(٥٨٩) فى الصلاة،وفيه:على بن زيد بن جدعان ضعيف.
انظر: جامع الأصول(٥/ ٤٩٧)تحقيق الأرناؤوط شرح السنة(٣/ ٢٥٣).

هذا، وشرب فضل وضوئه قائماً.

إن رؤية الطفل لوضوء الكبير، له كبير الأثر فى تعليمه، وتطبيقه له بشكل عملى صحيح: فقد أخرج عبد الرزاق فى مصنفه[1] عن مالك عن نافع قال: رأيت صفية بنت أبى عبيد توضأت، وأنا غلام، فإذا أرادت أن تمسح رأسها سلخت الخمار.

وهذا سعد بن أبى وقاص ﷺ يعلم أولاده الأدعية المأثورة كما يروى ذلك ابنه مصعب فيقول: كان سعد يعلمنا خمساً يَذْكُرهن عن النبى ﷺ : «اللهم، إنى أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجُبْن، وأعوذ بك أن أُرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر» .رواه أبو يعلى فى مسنده(٢/ ٧٢) بسند صحيح.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يُعلمهم الدعاءَ كما يُعلمهم السورة من القرآن، يقول: « قولوا : اللهم ، إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، ونعوذ بك من عذاب القبر ، ونعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ،ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات».

رواه الإمام مسلم، ثم قال: بلغنى أن طاوسًا قال لابنه: أدعوت بها فى صلاتك؟ فقال: لا، قال: أعد صلاتك، قال الإمام النووى فى شرحه على صحيح مسلم (٥/ ٩٨):

ولعل طاوسًا أراد تأديب ابنه، وتأكيد هذا الدعاء عنده، لا أنه يعتقد وجوبه، والله أعلم.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد ، كما يعلم

(١) المصنف(١/ ١٨) .

المكتب الغلمان . رواه ابن المنذر فى (الأوسط) (٣/ ٢٠٥) . قال محققه : رواه ابن أبى شيبة، والطبرانى فى الكبير من طريق عبد الرحمن ، وهو ضعيف ، كذا قاله الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢/ ١٤٠) .

ونختم هذه المرحلة بنصيحة الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود إلى الآباء والأمهات حيث قال فيما أخرجه الطبرانى : « حافظوا على أبنائكم فى الصلاة ، وعودوهم الخير ، فإن الخير عادة » . رواه البيهقى فى السنن الكبرى (٣/ ٨٤) .

ويعلمهم أحكام الوضوء كذلك:

روى الإمام أحمد ـ بسند حسن ـ عن محمد بن عمرو بن عطاء بن عياش بن علقمة أخى بنى عامر بن لؤى قال : دخلتُ على ابن عباس بيت ميمونة زوج النبىﷺ لغد يوم الجمعة قال : وكانت ميمونة قد أوصت له به ، فكان إذا صلى الجمعة بسط له فيه ، ثم انصرف إليه ، فجلس فيه الناس ، قال : فرَفعَ ابنُ عباس رضى الله عنهما يدهُ إلى عينيه ، وقد كُفَّ بصرُهُ ، فقال : بَصُرَ عيناى هاتان ، رأيتُ رسول الله ﷺ توضأ لصلاة الظُّهر فى بعض حجره ، ثم دعا بلال إلى الصلاة فنهض خارجاً ، فلما وقف على باب الحجرة لقيته هدية من خبز ولحم بعث بها إليه بعض أصحابه ، قال : فرجع رسول الله ﷺ بمن معه ، ووضعت لهم فى الحجرة ، قال : فأكل وأكلوا معه ، قال: ثم نهض رسول الله ﷺ بمن معه إلى الصلاة ، وما مسَّ ، ولا أحد ممن كان معه ماء، قال : ثم صلى بهم ، وكان ابن عباس رضى الله عنهما عقل من أمر رسول الله ﷺ آخره ورواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجه ومالك.

هكذا أصبح ابن عباس رضى الله عنهما حجة فيما يفتي، لأنه عقل من رسول الله ﷺ وهو صغير آخر الأمور عن الأعمال عن رسول الله ﷺ والتى تكون ناسخة لما قبلها، أو مساوية له .

ويعلمهم سجدة التلاوة :

أورد البخارى باب من سجد لسجود القارئ وقال ابن مسعود لتميم بن حذلم وهو غلام فقرأ عليه سجدة ، فقال : اسجد فإنك إمامنا فيها .

٣ـ مرحلة الأمر بالصلاة والضرب على تركها :

وتبدأ فى سن العاشرة من عمر الطفل ، فإذا قصر فى صلاته ؛ أو تهاون ، أو تكاسل فى أدائها ، فعند ذلك يجوز للوالدين استخدام الضرب ؛ تأديباً له على ما فرط فى حق نفسه، وعلى ظلمه لها باتباع سبل الشيطان ؛ لأن الأصل فى هذه المرحلة أن ينصاع للأمر حيث هو ما زال فى مرحلة الفطرية، والشيطان ما زال تأثيره عليه ضعيفًا . فعدم صلاته دليل على تمكن الشيطان منه شيئًا فشيئًا، لذلك فهو بحاجة إلى العلاج النبوى وهو الضرب، ولا بأس بإفهام الطفل سبب الضرب، وتلاوة حديث رسول الله ﷺ عليه :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع »[1] .

ـ ويعلق الشيخ ولى الله الدهلوى على الحديث فيقول :

بلوغ الصبى على وجهين: بلوغ صلاحية السقم والصحة النفسانيتين، ويتحقق بالعقل فقط. وأمارة ظهور العقل سبع ، فابن سبع ينتقل فيها لا محالة ، من حالة إلى حالة انتقالاً وأمارة تمامه العشر ، فابن العشر عند سلامة المزاج يكون عاقلاً ، يعرف نفعه وضرره ، ويحذق فى التجارة وما يشبهها ، وبلوغه فى صلاحية الجهاد ؛ والحدود ، والمؤاخذة عليه ، وأن يصير من الرجال ، الذين يعانون ـ أى يقاسون ـ

(١) رواه أبو داود (٤٩٥، ٤٩٦) فى الصلاة ، وإسناده حسن . انظر: جامع الأصول (٥/ ١٨٧) .

المكائد ، وبعد حالهم فى السياسات المدنية والمالية ، ويجبرون قسراً على الصراط المستقيم ، ويعتمد على تمام العقل؛ وتمام الجثة ، وذلك بخمس عشرة سنة فى الأكثر ، ومن علامات هذا البلوغ :الاحتلام ، وإنبات العانة .

والصلاة لها اعتباران : فباعتبار كونها وسيلة ، فيما بينه وبين مولاه ، منقذة عن التردى فى أسفل السافلين ، أمر بها عند البلوغ الأول ، وباعتبار كونها من شعائر الإسلام ، يؤاخذون بها ، ويجبرون عليها شاؤوا أم أبوا ، حكمها حكم سائر الأمور ، ولما كان سن العشر برزخاً بين الحدين ، جامعاً بين الجهتين ، جعل له نصيباً منهما[1].

٤ـ تدريب الأطفال على حضور صلاة الجمعة :

عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ أنه قال : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فعليه الجمعة ، إلا مسافراً ، أو مملوكاً ، أو صبياً ، أو امرأة ، أو مريضاً ، فمن استغنى عنها بلهو أو تجارة ، استغنى الله عنه ، والله غنى حميد»[2].

ثم علق الإمام الكاسانى فى « البدائع » على الحديث بقوله : « فصلاة الصبى تكون تطوعاً »[3] .

وبتدريب الصبى على صلاة الجمعة تحصل له عدة فوائد جمة ، منها :

١ـ عندما يبلغ يكون معتاداً على إقامتها .

٢ـ تأثره بسماع الخطبة، إذ فطرته تكون حساسة لالتقاط أحاديث الإيمان، وسيرة الرسول ﷺ ، كما هى تدريب له لسماع العلم .

٣ـ يألف تجمعات المسلمين، ويشعر بدخوله للمجتمع؛ إذ لابد أن يتعرف على

---

(١) حجة الله البالغة للدهلوى (١/ ١٨٦) .

(٢) الحديث رواه أبو داود عن طارق بن شهاب قال: قال رسول الله ﷺ : «الجمعة حق واجب على كل مسلم فى جماعة إلا على أربعة : عبد مملوك أو امرأة أو صبى أو مريض » ورواه الدار قطنى (٢/ ٣).

(٣) بدائع الصنائع (١/ ٢٥٩) .

من يعرفهم والده.

٤ـ على رأى من قال: بأن الساعة المستجابة فى يوم الجمعة؛ هى لحظة الخطبة، فيكون من الحاضرين لهذه الساعة المستجابة؛ التى حدث عنها الرسول ﷺ .

٥ـ تكون تغذية إيمانية، وشحناً روحياً على إقامة الصلوات الخمس، وطاعة الله بين الجمعة والجمعة.

٦ـ يتعرف بها على علماء الأمة ودعاتها، مما له كبير الأثر فى كبره، فضلاً عن صغره.

٧ـ بصلاة الجمعة يحصل له بناء شخصية بكامل عناصرها : العقدية ، والعبادية ، والاجتماعية ، والعاطفية ، والعلمية ، والجسمية ، والصحية ، والتهذيب الجنسى . والله أعلم .

٥ـ نموذج للأطفال فى قيام الليل :

لم يكتف أطفال الصحابة بالمحافظة على الصلوات الخمس ، إنما تعدوها إلى النوافل ، فى قيام الليل ، كما فعل ابن عباس رضى الله عنهما : فقد أخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: بتُّ فى بيت خالتى ميمونة بنت الحارث ، زوج النبى ﷺ ، وكان النبى ﷺ عندها فى ليلتها ، فصلى النبى ﷺ العشاء ، ثم جاء إلى منزله ، فصلى أربع ركعات ، ثم نام ، ثم قام ؛ ثم قال: « نام الغليم » أو كلمة تشبهها ، ثم قام فقمت عن يساره ، فجعلنى عن يمينه ، فصلى خمس ركعات ، ثم صلى ركعتين .ثم نام حتى سمعت غطيطه أو خطيطه ، ثم خرج إلى الصلاة .

وفى رواية ابن خزيمة فى صحيحه (٣/ ١٧) عن ابن عباس رضى الله عنهما:

قال: بتُّ فى بيت خالتى ميمونة، فتتبعتُ كيف يصلى رسول الله ﷺ ، ثم قام يصلى ، فجئت ، فقمت إلى جنبه ، فقمت عن يساره ، وقال : فأخذنى ؛ فأقامنى عن يمينه . قال المحقق مصطفى الأعظمى : ورواه مسلم من طريق بندار .

أرأيت إلى هذه الطفولة التى تهتم بحركات حبيبها ﷺ ، وأن تصلى معه بعد

النوم من الليل ؟! ثم إلى هذا الاهتمام من الرسول ﷺ ، بصلاة الطفل الصغير معه ، فيصحح له ، ويجعله عن يمينه ، بل هكذا كان شأنه ﷺ ، أن يصلى مع الكبار والصغار ، والرجال والنساء ، ويدُخل الفرح إلى البيوت المسلمة :

فقد أخرج الإمام أحمد عن أنس ﷺ أنه كان هو ورسول الله ﷺ وأمه وخالته ، فصلى بهم ، فجعل أنساً عن يمينه ، وأمه وخالته خلفهما . ورواه الشافعى فى مسنده .

ومن القصص الطريفة اللطيفة التى يقف الإنسان أمامها متعجباً ؛ لنباهة صاحبها ، المحاورة التالية بين الطفل أبى يزيد طيفور بن عيسى البسطامى وأبيه :

قال الشيخ ابن ظفر المكى [1] : بلغنى أن أبا يزيد طيفور بن عيسى البسطامى ﷺ لما حفظ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ ﴾ [المزمل] قال لأبيه: يا أبت ، من الذى يقول الله تعالى له هذا ؟ قال : يا بنى ، ذلك النبى محمد ﷺ ، قال : يا أبت ، ما لك ،لا تصنع كما يصنع ﷺ ، قال : يا بنى ، إن قيام الليل خصص به ﷺ ، وبافتراضه دون أمته ، فسكت عنه،فلما حفظ قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [المزمل] قال : يا أبت ،إنى أسمع أن طائفة كانوا يقومون الليل فمن هذه الطائفة؟ قال: يا بنى أولئك الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ، قال: يا أبت ، فأى خير فى ترك ما عمله النبى ﷺ وأصحابه ؟! قال : صدقت يا بنى ، فكان أبوه بعد ذلك يقوم من الليل ويصلى فاستيقظ أبو يزيد ليلة فإذا أبوه يصلى فقال: يا أبت علمنى كيف أتطهر وأصلى معك ، فقال أبوه : يا بنى ، ارقد فإنك صغير بعدُ ، قال : يا أبت ، إذا كان يوم يصدرُ الناس أشتاتاً؛ ليُروا أعمالهم ، أقول لربى : إنى قلت لأبى كيف أتطهر لأصلى معك ، فأبى ، وقال لى : ارقد ، فإنك صغير بعد ، أتحب هذا ؟ فقال له أبوه :

---

(١) فى كتابه: أنباء نجباء الأبناء (ص ١٥٠).

لا والله يا بنى ، ما أحب هذا ، وعلمه ، فكان يصلى معه .

٦ـ تعويد الطفل على صلاة الاستخارة:

روى ابن السنى [١] أن النبى ﷺ قال: « يا أنس ، إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ، ثم انظر إلى الذى يسبق إلى قلبك فإن الخير فيه» .

٧ـ اصطحاب الأطفال لصلاة العيد :

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يخرج فى العيدين مع الفضل بن العباس ، وعبد الله بن عباس، والعباس ، وعلى ، وجعفر، والحسن ، والحسين ، وأسامة بن زيد ، وزيد بن حارثة ، وأيمن ابن أم أيمن ، رافعًا صوته بالتهليل والتكبير ، فيأخذ طريق الحدادين حتى يأتى المصلى ، فإذا فرغ رجع على الحذائين حتى يأتى منزله . رواه ابن خزيمة فى صحيحه (٢/ ٣٤٣) قال المحقق مصطفى الأعظمى : إسناده ضعيف .

وأخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال له رجل : شهدت الخروج مع رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم، ولولا مكانى منه ما شهدته يعنى فى صغره.

وفى رواية قال: خرجت مع النبى ﷺ يوم فطر أو أضحى ، فصلى ثم خطب ، ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة .

وفى رواية: قال: نعم، ولولا مكانى من الصغر ما شهدته.

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٢/ ٢٧٦): « شهد ابن عباس رضى الله عنهما صلاة العيد مع النبى ﷺ ، وقد صرح فيه بأنه كان صغيراً » .

إن تحرك الأسرة المسلمة الأب والأم والأولاد إلى صلاة العيد ، وإظهار الفرحة والبهجة واللبس الجديد ، والتزين لصلاة العيد ، تزيد من فرحة الأطفال وتنشئتهم

(١) رقم (٦٠٣) كتاب (عمل اليوم والليلة) .

تنشئة إيمانية ، وحباً صادقاً لصلاة العيد ، وتريهم المجتمع الإسلامى فى أحلى منظر، وأجمل مشهد ، يقول المسلم لأخيه مهنئاً : تقبل الله منّا ومنك ، ويزيدون عليها ما يشاؤون بعد ذلك من العبارات والكلمات المهنئة ، ومهما كانت الظروف التى تمر بها البلاد ، فإنها لا بد من إظهار فرحة العيد لأنها عيد المسلمين أتى بعد طاعة لله ، وأما إظهار الحزن فى ذلك اليوم فليس من السنة فى شىء إلا ما استثنى فى حالة الوفاة . والله أعلم .

٨ ـ مشاركة الأطفال فى تحرى ليلة القدر:

عن عبد الله بن أنيس ﷺ قال: كنتُ فى مجلس لبنى سلمة وأنا أصغرهم ، فقالوا : من يسأل لنا رسول الله ﷺ عن ليلة القدر ؟ وذلك فى صبيحة إحدى وعشرين ، من رمضان ، فخرجت ، فوافيتُ رسول الله ﷺ فقلت : أرسلنى إليك رهط من بنى سلمة يسألونك عن ليلة القدر ؟ فقال : « كم الليلة؟» فقلت : اثنتان وعشرون فقال: «هى الليلة » ثم رجع فقال:«أو المقابلة»، أخرجه أبو داود .

ومن أمثلة تحرى الصغار لليلة القدر ومشاركتهم لها، ما ذكره والد الإمام النووى عن ولده فقال:

«كان نائماً إلى جنبه، وهو ابن سبع سنين، ليلة السابع والعشرين من رمضان، فانتبه نحو نصف الليل وقال: يا أبت، ما هذا الضوء الذى ملأ الدار؟!

قال: فاستيقظنا، ولم نر كلنا شيئاً فعرفت أنها ليلة القدر »[1] .

٩ـ حضور الطفل صلاة الجنازة :

أخرج البخارى عن سليمان الشيبانى قال : سمعت الشعبى قال: أخبرنى من مَرَّ مع النبى ﷺ على قبر منبوذ ، فأمَّهم ، وصفّوا عليه ، فقلت : يا أبا عمر ، ومن

(١) انظر، مقدمة : دليل الفالحين فى شرح رياض الصالحين لابن علان .

حدثك ؟ فقال: ابن عباس رضى الله عنهما. قال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٢/ ٢٧٦) : « والغرض منه (أى الحديث) صلاة ابن عباس رضى الله عنهما معهم، ولم يكن إذ ذاك بالغاً » .

وروى مسلم عن سمُرة بن جندب ﷺ قال : كنتُ على عهد رسول الله ﷺ غلاماً ، فكنتُ أحفظ عنه ، فما يمنعنى من القول إلا أن هاهنا رجالاً هم أسنُّ منى ، وقد صليتُ وراء رسول الله ﷺ على امرأة ماتت فى نفاسها ، فقام عليها رسول الله ﷺ فى الصلاة وسطها .

وبحضور الطفل صلاة الجنازة ومشاهدته المسلمين يصلون على المتوفى ، ورؤيته للمقابر ، زيادة إيمان له يقرأ من الآيات القرآنية أن الإنسان فان فى هذه الحياة الدنيا ، وأنه سيموت ويُبعث من قبره يوم القيامة للحساب ، فيشهد ذلك عملياً وحسياً ، وليس ذلك إرعابًا له ، أو تخويفًا نفسيًا . كما يدعيه المنحرفون والضالون ، وإنما يرى الطفل قدرة الله سبحانه فى خلقه ، فتارة يشاهد مولودًا جديداً، خلقه الله تعالى ، وتارة يرى ميتاً قد مات ويشارك فى صلاة جنازته ، مشاهداً للمسلمين وهم يترحمون عليه ، ويوارونه قبره ، وإذا حضر العزاء ، فيرى الوقار والهدوء والمشاركة الجماعية للمجتمع المسلم فى تخفيف آلام وحزن أهل المتوفى ، وبالتالى ينشأ قوى الصلة بالله تعالى ، وأنه سبحانه هو المحيى المميت ، وأن الكبير والصغير ، والذكر والأنثى سيوارى إلى قبره ، وبالتالى فلا يخاف بشراً ، ولا يهاب الظالمين ، ويبقى قلبه موصولاً بالمحيى المميت ، فيزداد خوفاً من الله وقرباً منه ، وهذه خاصية الإيمان بالله ، أنه كلما خاف العبد مولاه سبحانه ازداد قرباً منه ، على خلاف الخوف من البشر، فإنه يزداد بُعداً عنهم .

لقد واسى رسول الله ﷺ أولاد جعفر بن أبى طالب عندما استشهد فى مؤتة ، وواسى أولاد حمزة بن عبد المطلب عمه سيد الشهداء عندما استشهد فى أحد ،

وقال: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً»مواساة لهم ومشاركة لهم فى طعامهم ليخفف عنهم ألم المصاب والفجيعة . فالموت حق، والبعث من القبر حق، والقيامة حق، والحساب حق، والجنة حق والنار حق، ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف:٢٩] .

وإذا كان تنمية خيال الطفل ضرورة تربوية ، فلأن يتوسع بالحقائق الإيمانية ، خير من توسيعه بالخرافات البهلوانية التى يسطرها غير المسلمين ويعرضونها فى (الرائى : التلفاز) باسم (أفلام كرتون) ، فإن فيها ما يرعب الكبار ويخيفهم فضلاً عن الصغار ، علاوة عن كونها خرافة وليست بحقيقة .

ـ بعض الجهلة يحلو له عندما تكون الحقيقة واقعية ومصدرها الدين الإسلامى يرفضها، وعندما تكون خرافة غربية يقبلها، ثم إذا وجهت إليه التهمة أنه مبتعد عن الإسلام، ادعى أنه مسلم.

ـ لهذا فإنه لا حاجة للأب المسلم والأم المسلمة والمربى المسلم الغيورين على دينهم وعقيدتهم، أن يسمعوا لمثل تلك الأصوات الشيطانية، التى لا تصمد أمام الحقائق القرآنية والنبوية.

١٠ـ حضور الأطفال صلاة الاستسقاء ودعائها:

قال الشافعى رحمه الله تعالى: «وأحبُّ أن يخرج الصبيان ويتنظَّفوا للاستسقاء، وكبار النساء ومن لا هيئة لها منهن» .

قال الماوردى : « لما روى عن النبى ﷺ أنه قال : لولا مشايخ رُكَّعُ ، وأطفال رُضَّعُ ، وبهائم رُتَّعُ ، لصُبَّ عليكم العذاب صباً »[1] « ولأن الصبيان أحق بالرحمة ،

(١) انظر : الحاوى للماوردى ، تحقيق :على معوض ، وعادل عبد الموجود (٢/ ٥١٥) : وقالا فى الحاشية عن الحديث : أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى (٣/ ٣٤٥) وعزاه ابن الملقن لأبى يعلى ، انظر : خلاصة البدر (١/ ٢٥٠) والتلخيص (١/ ٩٧) .

وأقرب إلى إجابة الدعوة ، لقلة ذنوبهم» . ا.هـ[1] .

وهكذا نرى أن الطفل يشارك المجتمع المسلم أفراحه ، وأحزانه ، وهمومه ، وزرعه ،ومطره ، وكل شيء يخص ذلك المجتمع ، فينشأ الطفل وهو مدرك لما حوله، غير بعيد عنه ، فيذكر فى كبره : صلاته فى صغره ومشاركته مع المجتمع ، فيتربى تربية عملية واقعية ، ويعتاد طاعة الله تعالى منذ صغره ،فتصبح شيئًا مهماً فى كيان شخصيته ، فإذا حزبه أمر سارع إلى طاعة الله واستغفاره ، ودعائه له ، وهكذا يُستخدم الأطفال فى استجلاب ـ رحمة الله ـ على المجتمع ، فيكونون خيراً عليهم، وسبباً فى التوبة إلى الله ، والطلب منه ـ سبحانه ـ أن يُمطرهم إذا قحطوا .

الأساس العبادى الثانى : الطفل والمسجد :

١ـ أخذ الطفل إلى المسجد :

المسجد هو الصرح الذى يبنى الأجيال تلو الأجيال ، ولقد كان ، وما زال هو المصدّر لأجيال باعوا أنفسهم لله ، وساروا على منهجه ، واقتدوا برسولهم ؛ لهذا عنى أطفال الصحابة بالصلاة مع رسول الله ﷺ فى المسجد ، فهذا جابر بن سمرة يحدثنا عن طفولته وصحبته لرسول الله ﷺ .

ـ روى مسلم عن جابر بن سمرة ﷺ قال : « صليت مع رسول الله ﷺ.صلاة الأولى يعنى صلاة الظهر، ثم خرج إلى أهله ، وخرجت معه، فاستقبله ولدان أى: صبيان فجعل ﷺ يمسح خدَّى أحدهم ، واحداً واحداً ، قال جابر: «وأما أنا فمسح خدى ، فوجدت ليده برداً ، وريحاً ، كأنما أخرجها من جُونة عطّار» .

ويكون أخذ الطفل للمسجد ، عندما يستطيع الطفل قضاء حاجته بنفسه ،

---

(١) انظر : الحاوى للماوردى ، تحقيق :على معوض ، وعادل عبد الموجود (٢/ ٥١٥) : وقالا فى الحاشية عن الحديث : أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى (٣/ ٣٤٥) وعزاه ابن الملقن لأبى يعلى ، انظر : خلاصة البدر (١/ ٢٥٠) والتلخيص (١/ ٩٧) .

ويصبح نظيفاً ، فلا يتبول ، ولا يتغوط تحته ، وإنما يذهب إلى بيت الخلاء بنفسه ، ويكون قد تعلم آداب المسجد : من دخول بهدوء ، ووضع الحذاء فى مكانه المخصص ، وطيّه على بعض فى أثناء السير ، وعدم الركض فى المسجد ، والابتعاد عن مزاحمة الكبار ، والانتباه واليقظة للخطبة ، والدرس ، والصلاة ، وعدم العبث .. إلخ .

وقد سئل الإمام مالك ﷺ عن رجل يأتى بالصبى إلى المسجد، أيستحبُّ ذلك؟ قال: إن كان قد بلغ موضع الآداب، وعرف ذلك، ولا يعبث، فلا أرى بأساً، وإن كان صغيراً لا يقر فيه، ويعبث فلا أحب ذلك [1] .

وقد طلب الرسول ﷺ من أئمة المساجد أن يخففوا من الصلاة رأفة بالأطفال، الأمر الذى دل على جواز صلاة الأطفال ، وأخذهم إلى المسجد .

أخرج البخارى ومسلم عن عقبة بن عمرو البدرى ﷺ قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : إنى لأتأخر عن الصلاة ؛ من أجل فلان ، مما يطيل بنا ، فما رأيت النبى ﷺ غضب فى موعظة قطّ أشد مما غضب يومئذ ، فقال : « يا أيها الناس ، إن منكم منفرين فأيكم أمَّ الناس فليوجز ، فإن من ورائه الكبير ، والصغير، وذا الحاجة».

وبحضور الطفل الصلاة فى المسجد، فإنه يشارك المسلمين فى حفظ عدد الركعات :

فعن إبراهيم بن سويد قال : صلى بنا علقمة الظهر، فصلى خمساً ، فلما سلم ، قال القوم : يا أبا شبل ، قد صليت خمساً ، قال : كلا ، ما فعلتُ ، قالوا : بلى ، قال : فكنتُ فى ناحية القوم ، وأنا غلام ، فقلت : بلى قد صليت خمساً ، قال لى : وأنت أيضاً يا أعور! تقول ذلك ؟ قلت : نعم ، فأقبل فسجد سجدتين ثم سلم ، ثم قال عبد الله: صلى بنا رسول الله ﷺ خمساً ، فلما انفتل توسوس القوم بينهم ، فقال : « ما شأنكم ؟

(١) انظر : التربية فى الإسلام ، تحقيق د. أحمد الأهوانى (ص٢٨٢) .

قالوا : يا رسول الله ، هل زيد فى الصلاة ؟ قال «لا» ، قالوا : فإنك قد صليت خمساً ، فانفتل ؛ فسجد سجدتين ، ثم سلم ، ثم قال : « إنما أنا بشر أنسى كما تنسون » . رواه ابن خزيمة فى صحيحه (٢/ ١٣٣) قال المحقق مصطفى الأعظمى : ورواه مسلم .

٢ـ كيف يصف الأطفال مع الرجال فى صلاة الجماعة ؟

عن عبد الله بن غنم عن أبى مالك الأشعرى عن رسول الله ﷺ أنه كان يسوى بين الأربع ركعات : فى القراءة ، والقيام ، ويجعل الركعة الأولى هى أطولهن ؛ لكى يثوب الناس ، ويجعل الرجال قدّام الغلمان ، والغلمان خلفهم ، والنساء خلف الغلمان . رواه أحمد .

ولأبى داود عنه قال : ألا أحدثكم بصلاة النبى ﷺ ؟! قال : فأقام الصلاة ، وصف الرجال ، وصف خلفهم الغلمان ؛ ثم صلى لهم ، فذكر صلاته .

وعن أنس قال: صليتُ وأنا فى بيتنا خلف النبى ﷺ ، وأمى خلفنا ، وأم سليم . رواه البخارى [1] .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « ليلينى منكم أولو الأحلام والنهى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ، وإياكم وهيشات الأسواق » . رواه الحاكم فى مستدركه (٢/ ٨) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجه البخارى وأقره الذهبى . ورواه ابن خزيمه فى صحيحه (٣/ ٣٢) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «صليت إلى جنب النبى ﷺ ، وعائشة خلفنا معنا، وأنا إلى جنب النبى ﷺ أصلى معه » .

رواه ابن خزيمة فى صحيحه (٣/ ٦٧) بسند حسن .

---

(١) نؤكد مرة ثانية أن الاستشهاد بالحديث الشريف فى هذا الكتاب هو للجانب التربوى ، وليس للجانب الفقهى .

٣ ـ ربط الطفل بالمسجد :

نظرة [1] ربط الطفل بالمسجد نظرة صحيحة ، لا معدل عنها ، إنقاذاً لهذه البراعم من المفسدة .

وربطاً بالتاريخ نذكر أن تونس وبقية الشمال الإفريقى ، قد مرت بها محنة الأفكار الحاكمية ، التى ادعى فيها صاحبها الألوهية ، مما لو تم له لأصبحت ديار الإسلام خراباً ، فقد وفق الله لدفع هذه المحنة المربى الصالح : محرز بن خلف الصديقى المتوفى سنه ٤١٣ هـ، فأخذ يعلم الأطفال فى بعض المساجد ، لا كتعلم المؤدبين الذين ليست غايتهم إصلاحية ، وإنما هو تعليم مرب صالح ، ينظر نظرة بعيدة ، لا مرمى لها إلا تكوين الطفل التكوين الإسلامى ، وقد أشار إلى هذا المعنى وهو : **تحبيب الإسلام إلى قلوب الأطفال**، أبو عبد الله محمد بن أبى زيد القيروانى فى رسالته الشهيرة ، رسالة ابن أبى زيد القيروانى (١/ ٢٣) التى نفع الله بها الإسلام، النفع العام التام ، فقال فى طالعتها :

وبعد : أعاننا الله وإياك ، على رعاية ودائعه ، وحفظ ما أودعنا من شرائعه ، فإنك سألتنى : أن أكتب لك جملة مختصرة من واجب أمور الديانة ، مما تنطق به الألسنة ، وتعتقده القلوب ، وتعمله الجوارح ، وما يتصل بالواجب من ذلك ، لما رغبت فيه ، من تعليم ذلك للولدان ، كما تعلمهم حروف القرآن ، ليسبق إلى قلوبهم من دين الله وشرائعه، ما تُرجى لهم بركته ، وتحمد عاقبته ، فأجبتك إلى ذلك ، لما رجوته لنفسى ولك من الثواب تعليم دين الله ، والدعوة إليه .

واعلم أن خير القلوب ، وأوعاها للخير ، ما لم يسبق الشر إليه ، وأولى ما عنى به الناصحون ، ورغب فى أجره الراغبون : إيصال الخير إلى قلوب أولاد المؤمنين ، لكى يرسخ فيها ، وتنبيههم على معالم الديانة ، وحدود الشريعة ، لكى يراضوا عليها » انتهى .

---

(١) من كلمة الشيخ محمد الشاذلى فى مؤتمر رسالة المسجد بمكة (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) عن كتاب: مؤتمر بحوث: رسالة المسجد (ص٤٤٦).

وإذا علمنا أنه يجوز تعليم الأطفال [1] إذا لم يأخذ عليه أجراً كما قال الشيخ أنور الكشميرى [2] قلنا : إن المسجد الذى خرّج أطفال الصحابة ، والسلف الصالح ، قادر أن يخرج أمثالهم ، إذا وجه الآباء والأمهات أطفالهم نحو المسجد ؛ ترغيبًا لا تنفيرًا، وتحبيبًا لا تقبيحًا، وتشجيعًا لا تخذيلا .

كذلك إذا وعى الكبار دورهم فى المسجد ، نحو الأطفال الذين يردون المسجد، فواجبهم النصح اللطيف ، والموعظة الحسنة ، والرفق واللين ، وبسط الجناح، والتواضع، وإشعارهم بالعطف والحنان ، وذلك ليعيد الطفل زيارته للمسجد والصلاة ، وحضور الدرس فيه ، وكم رأينا كباراً فى السن منفرين ، فكانوا سبباً لانحراف كثير من الأطفال ، بالصراخ عليهم ، وطردهم من المساجد ، وهذا من مصائب الأمة ، تحتاج من إمام المسجد نصح هؤلاء وتنبيههم .

إن اصطحاب الأب أو الأخ الكبير للطفل إلى المسجد. هو شعار الملة الإسلامية ، فتنطبع تلك الزيارات المسجدية فى نفس الطفل ، فإذا مات الأب فجأة، فإن الطفل يستمر بالذهاب إلى المسجد ؛ لأنه كان يرى والده يحب ذلك ، ويحرص عليه ، فتوريث الطفل الصلاة فى المسجد عمل مهم جداً لاستمرارية التربية الإسلامية .

الأساس العبادى الثالث : الصوم :

عبادة الصوم روحية جسدية، يتعلم منها الطفل الإخلاص الحقيقى لله تعالى، ومراقبته له فى السر، وتتربى إرادة الطفل بالبعد عن الطعام رغم الجوع، والبعد عن الماء رغم العطش.

كما يقوى على كبح جماح رغباته ، ويتعود فيه الطفل الصبر والجلد ، وقد ربى الصحابة أطفالهم على عبادة الصيام ، فعَنوَنَ الإمام البخارى فى صحيحه ـ باب :

---

(١) أى : فى المسجد .

(٢) فيض البارى على شرح صحيح البخارى (١/ ٢٣٠) .

صوم الصبيان ـ وأورد حديث عمر حيث قال عمر لنشوان وقد أفطر فى رمضان : ويلك وصبياننا صيام ! فضربه .

قال الحافظ ابن حجر معلقاً على الحديث :

قوله: باب: صيام الصبيان، أى: هل يشرع أم لا ؟ والجمهور على أنه لا يجب على من دون البلوغ ، واستحب جماعة من السلف ، منهم ابن سيرين والزهرى، وقال به الشافعى ، أنهم يؤمرون به للتمرين عليه ، إذا أطاقوه ، وحدّه بالسبع ، والعشر كالصلاة ، وحدّه إسحاق باثنتى عشرة سنة ، وأحمد فى رواية بعشر سنين ، وقال الأوزاعى : إذا أطاق صوم ثلاثة أيام تباعاً ، لا يضعف فيهن حمل على الصوم ، والأول قول الجمهور ، والمشهور عند المالكية أنه لا يشرع فى حق الصبيان ، ولقد تلطف المصنف ـ أى: الإمام البخارى ـ فى التعقيب عليه بإيراد أثر عمر فى صدر الترجمة ؛ لأن أقصى ما يعتمد فى معارضة الأحاديث ، دعوى عمل أهل المدينة على خلافها ، ولا عمل يستند إليه أقوى من العمل فى عهد عمر، مع شدة تحريه ، ووفور الصحابة فى زمانه ، وقد قال للذى أفطر فى رمضان ، موبخاً له كيف تفطر وصبياننا صيام ؟ وأعرب ابن الماجشون من المالكية فقال :إذا أطاق الصبيان الصيام ألزموه ، فإذا أفطروا لغير عذر فعليهم القضاء[1] .

وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (١/ ٤٧٠) عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يأمر بنيه بالصيام إذا أطاقوه ، وبالصلاة إذا عقلوا .

*** ومن اهتمام الصحابة بصيام أطفالهم ، أنهم يهيئون لهم اللعب أثناء الصيام ، ليتسلوا بها؛ فلا يشعرون بطول النهار :**

أخرج البخارى ومسلم عن الرُّبيِّع بنت مُعَوَّذ قالت : أرسل رسول الله ﷺ صبيحة يوم عاشوراء ، إلى قرى الأنصار : «من كان أصبح صائماً فليتم صومه ، ومن كان أصبح مفطراً فليصم بقية يومه»، فكنا نصوم بعد ذلك ، ونُصَوِّم صبياننا

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى (٥/ ١٠٣) .

الصغار منهم ، ونذهب إلى المسجد ، فنجعل لهم اللعبة من العهن ــ أى الصوف ــ فإذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه إياه ، حتى يكون عند الإفطار .

قال الحافظ ابن حجر[1] معلقاً : «وفى الحديث حجة على مشروعية تمرين الصبيان على الصيام ، كما تقدم ؛ لأن من كان فى مثل السن الذى ذكر فى هذا الحديث ، فهو غير مكلف ، وإنما صنع لهم ذلك للتمرين » .

وفى رواية لابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (١/ ٤٧٦) تفصيل لطيف، وفيه تعويد الطفل الرضيع على الصيام، وهذا من معجزاته ﷺ فى أولاد فاطمة رضى الله عنهم:

فعن عُليلة بنت الكُميت العتكيّة قالت : سمعت أمى أمينة تُحدثُ أنها أتت واسطًا فى زمن الحجاج بن يوسف تطلب عطاءها ، قالت : فلقيتُ ثَمَّ مولاةً لرسول الله ﷺ يُقال لها: أمةُ الله، بعث إليها الحجّاج فجىء بها، قالت: وكانت أمُّها خادماً لرسول الله ﷺ يُقال لها: رزينة ، قالت أمينة : فقلت لأمة الله : سمعت أمَّك تذكرُ فى صوم يوم عاشوراء شيئاً ؟. قالت: نعم، حدثتنى أمى رُزينة أنها سمعت النبى ﷺ يُعظِّمهُ حتى إن كان ليدعو صبيانه ، أو صبيان فاطمة المراضع فى ذلك اليوم ، فيتفلُ فى أفواههم ، ويقول لأمهاتهم :

«لا ترضعوهم إلى الليل » فكان ريقه يجزيهم[2].

*** وكان الصحابة رضوان الله عليهم يجمعون أطفالهم، ويدعون الله عزّ وجلّ لحظة الإفطار، رجاء استجابة الدعاء؛ فى تلك اللحظة المباركة:**

روى أبو داود الطيالسى عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة »[3]، فكان عبد الله بن عمر إذا أفطر،

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى (٥/ ١٠٤، ١٠٥) .

(٢) قال الدكتور نجم عبد الرحمن خلف محقق (كتاب العيال) عن السند: إسناد معتبر، ليس فيهم مجروح.

(٣) ورواه البيهقى فى شعب الإيمان ، وهو حديث ضعيف. انظر : ضعيف الجامع، رقم (٤٧٥٠) تحقيق الألبانى .

دعا أهله وولده، ودعا، ولا بأس باعتكاف الصبى العاقل فى العشر الأواخر من رمضان حيث إن البلوغ ليس شرطاً لصحة الاعتكاف ، فيصح من الصبى العاقل؛ لأنه من أهل العبادة ، كما يصح منه صوم التطوع ، كما قال الكاسانى فى البدائع [1].

الأساس العبادى الرابع : الحج :

قال الحافظ ابن حجر: قال ابن بطال: أجمع أئمة الفتوى على سقوط الفرض عن الصبى حتى يبلغ، إلا أنه إذا حُجَّ به كان له تطوعاً عند الجمهور[2].

و الحج مثل الصوم والصلاة يعود الطفل على هذه العبادات ؛ ليعتاد الصلة بالله تعالى، ومناجاته، والاستجابة لأوامره، وليتهيأ للتكليف الذى ينتظره عند بلوغه، فلا يجده صعباً ، وشاقاً عليه، وإنما مألوفاً لديه .

والحج كما هو معروف يجمع مشقات العبادات كلها، بالإضافة إلى أنه يجمع لذتها جميعاً فإذا ما حجَّ الصبى ، فهذه بشارة على سلوك الطاعة لله فى المستقبل إن شاء الله .

أخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: أقبلتُ راكباً على حمار أتان، وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام، ورسول الله ﷺ يصلى بالناس بمنى إلى غير جدار ، فمررتُ بين يدى بعض الصف، فنزلتُ، وأرسلتُ الأتان ترتع، ودخلتُ فى الصف ، فلم ينكر ذلك على أحدٌ. قال ابن حجر فى الفتح (٢/ ٢٧٦) : «ناهزَ الاحتلام: أى قاربه » .

وعن أسامة بن زيد قال: كنت ردف النبى ﷺ بعرفة. رواه الحاكم فى مستدركه (٣/ ٥٩٧) وسكت عنه .

وإذا بلغ الأطفال الحلم، فعليهم حجة الإسلام؛ لأنه لا حج على الصبى،

(١) البدائع (٢/ ٤٤٢). وانظر: المستدرك (١/ ٤٨١).
(٢) الفتح (٤/ ٤٤٢). وانظر: بذل المجهود (٨/ ٣١٩)

لكونه غير مخاطب، وما فعله قبل البلوغ يكون تطوعاً، وقد روى عن النبىﷺ أنه قال: «أيما صبي؛ حج عشر حجج؛ ثم بلغ، فعليه حجة الإسلام »[1].

وروى الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «إذا حجّ الصبي؛ فهى له حجةٌ حتى يعقل، وإذا عقل فعليه حجة أخرى » وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى على التصحيح .

وروى الخطيب فى التاريخ والضياء المقدسى فى المختارة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال:« أيما صبى حجّ، ثم بلغ الحِنْثَ، فعليه أن يحُجَّ حجة أخرى»[2].

وروى ابن عدى فى الكامل والبيهقى فى جمع الجوامع عن جابر رضى الله عنهما إن رسول الله ﷺ قال : « لو حج صغير حجة، كانت عليه حجةٌ إذا بلغ، إن استطاع إليه سبيلاً » [3] .

وإن النبى ﷺ لينبه الأطفال، ويعلمهم، ويرشدهم، أثناء الحج إلى أهمية يوم عرفة، وهم يقومون بأداء مناسك الحج، كل ذلك بخطاب عاطفى مؤثر :

روى الإمام أحمد فى مسنده، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : «ابن أخى ، إن هذا اليوم من مَلَكَ فيه سمعهُ، وبصرهُ، ولسانهُ، غُفر له»، يعنى : يوم عرفة[4] .

وفى رواية البيهقى فى « شعب الإيمان » : « يا بن أخى، إن هذا يومٌ، من ملك فيه بصره إلا من حقٍّ، وسمعه إلا من حق، غُفر له، يعنى : يوم عرفة »[5].

---

(١) بدائع الصنائع للكاسانى (٢/ ١٢٠).
(٢) كنز العمال (٥/ ٩٩). حديث صحيح انظر: صحيح الجامع رقم (٢٧٢٩) تحقيق الألبانى.
(٣) الكنز (٥/ ٤٥).
(٤، ٥) السابق (٥/ ٦٨).

١ ـ لطيفة فقهية [١]:

أ ـ قال الإمام الكاسانى الحنفى فى البدائع :

ولو أحرم الصبى، ثم بلغ قبل الوقوف بعرفة، فإن مضى على إحرامه يكون حجه تطوعاً، عندنا، وعند الشافعى يكون عن حجة الإسلام، إذا وقف بعرفة وهو بالغ، وهذا بناء على أن من عليه حجة الإسلام، إذا نوى النفل يقع عن النفل عندنا، وعنده يقع عن الفرض .

ولو جدد الإحرام؛ بأن لبى أو نوى حجة الإسلام، ووقف بعرفة، وطاف طواف الزيارة، يكون عن حجة الإسلام بلا خلاف[٢] .

ب ـ قال الإمام الشافعى فى مناسك الحج :

« إن الله عزّ وجلّ بفضل نعمته أثاب على الأعمال أضعافها، ومنَّ على المؤمنين، بأن ألحق بهم ذريا تهم، ووفر عليهم أعمالهم، فقال: ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ [الطور] فلما منَّ على الذرارى بإدخالهم جنته بلا عمل، كان أن منَّ الله عليهم؛ بأن يكتب عمل البر فى الحج، وإن لم يجب عليهم فى ذلك المعنى »[٣].

٢ ـ ما ورد فى حج أطفال الصحابة :

وروى مسلم ومالك وأبو داود والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ لقى ركباً بالرَّوْحَاء[٤] فقال : « مَن القوم؟» قالوا : المسلمون، فقالوا : من أنت؟ قال : « رسول الله » فرفعت امرأة صبياً، فقالت : ألهذا حج؟ قال : « نعم، ولك أجر» .

---

(١) بدأت فى كتابة (أحكام الطفل فى الفقه الإسلامى) أرجو من الله التوفيق والسداد والكمال والانتهاء اللهم آمين.

(٢) البدائع (٢/ ١٢١).

(٣) انظر: الاعتقاد للبيهقى (ص:٧٦).

(٤) مكان بقرب المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام .

وروى أحمد والبخارى والترمذى وصححه عن السائب بن يزيد ﷺ قال:حُجَّ بى مع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع؛ وأنا ابن سبع سنين .

وروى النسائى عن أبى هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « جهاد الكبير، والصغير، والضعيف، والمرأة: الحج والعمرة » .

وروى ابن السنى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : جاء غلام إلى النبى ﷺ فقال :إنى أريد الحج، فمشى معه رسول الله ﷺ فقال : « يا غلام ، زودك الله التقوى، ووجهك فى الخير، وكفاك الهَمَّ » فلما رجع الغلام على النبى ﷺ فقال : « يا غلام، قبل الله حجك، وغفر ذنبك، وأخلف نفقتك » .

وهذا إن دلّ فإنما يدل على اهتمام الرسول ﷺ بهذا الركن العبادى بالنسبة للأطفال ، فيمشى معهم، ويدعو لهم ، فى الذهاب والإياب .

وأخرج البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه أتى يوم عرفة حين زالت الشمسُ فصاح عند سُرادق (الحَجَّاج بن يوسف الثقفى)، فخرج وعليه ملْحفةٌ مُعَصْفَرةٌ، فقال : ما لكَ يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: الرواح إن كنت تريد السُّنَّة، قال : هذه الساعة؟ قال: نعم، قال: فأنظرنى حتى أفيض على رأسى ثم أخرج، فنزل حتى خرج الحجاجُ فسار، فقال له سالمُ بنُ عبد الله، وكان مع أبيه :إن كنت تريد السنة فاقْصُر الخُطبة وعجِّل الوقوف فجعل ينظر إلى عبد الله، فلما رأى ذلك عبد الله؛ قال: صدقَ، وكان عبدُ الملك قد كتب إلى الحجاج ألا يُخالف ابن عمر فى الحج .

تلك ميزة التربية النبوية للصحابة، فخرجوا أطفالاً يعظون أقسى الولاة ظلماً، ولا يأبهون به ما داموا ينطقون بسنة رسول الله ﷺ وعظاً وتنبيهاً، وما داموا لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً ، وما داموا يخافون الله تعالى فى موعظتهم ويبتغون رضوانه، كل ذلك بأسلوب حكيم : « إن كنت تريد السنة فاقصر الخطبة وعجل الوقوف » .

وسار التابعون على منهاج النبوة وسيرة الصحابة، ينصحون الآباء فى حج أولادهم واصطحابهم، وطريقة حجهم:

أورد ابن أبى الدنيا فى كتاب (العيال) (٢/ ٨٥١) بعض الآثار نقتطف منها :

عن سفيان بن عيينة قال : قيل لمحمد بن المنكدر : أنحجُّ بالصبيان؟ قال: نعم، اعرضهم على الله ـ عزّ وجلّ .

هكذا التوجيه الإيماني، بعرض الأطفال فى الزمان والمكان المبارك، لقوله ﷺ : «إن لربكم فى أيام دهركم نفحات، فَتَعَرَّضُوا لها »[1] .

فتعريض الأطفال إلى النفحات الإلهية حسب ما ورد فى السنن فى الأزمنة المشهودة: السَّحَر، وعند ختم القرآن، وعند الإفطار، ودروس العلم، وفى الأمكنة التى تحفها الملائكة: حلق القرآن والعلم والذكر، والمساجد، وأماكن مناسك الحج.

هكذا يفعل من يريد لابنه وبناته الصلاح، وأما تعريضهم للفتن ما ظهر منها وما بطن باسم السياحة تارة، وباسم الترفيه تارة أخرى، فهذا إلقاء إلى التهلكة يحصد ثمار ذلك الوالدان فى الدنيا قبل الآخرة.

وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه، قال: يُجرَّد الصبي، ويُهَلُّ عنه.

وعن حصين بن على قال: كان على بن حسين يَخرجُ بى ـ وأنا صبى ـ إلى مكة، فيجرَّدُنى من نحو الجُحفة، ثم يأتى فيطاف بى .

وعن عطاء قال: يُقضى عن الصبى كل شىء إلا الصلاة .

وعن الزهرى (سئل) عن الصبى يُحجُّ به؟ قال: نعم، ويُجَنَّبُ ما يُجنبُ المحرمُ من الثياب والطيب، ولا يُغطَّى رأسهُ، ويرمى عنه الجمار بعضُ أهله، ويُنحر عنه إن تمتّع.

(١) رواه الطبرانى عن محمد بن سلمة ورمز السيوطى لضعفه . انظر: الجامع الصغير (٢/ ٥٠٥).

وعن صالح بن حميد قال: رأيتُ القاسم بن محمد يُجرِّدُ صبيانه، ويأمر أن يُذَكَّروا بالتلبية.

فالصبى يحج كما يحج الكبير سواء بسواء، وكذلك البنت تحج كما تحج الكبيرة سواء بسواء، ويكتب للصغير الأجر له ولوالديه كما مرّ سابقاً، ولمن أشرف وعلّم الصغير كذلك.

وعن عطاء (سئل) فى الصبى يُحجُّ به ولا يُحسن يُلبّي؟ قال: يلبى عنه أبوه، أو وليّه.

وروى البيهقى فى السنن الكبرى عن جابر بن عبد الله أنه قال: « خرجنا مع النبى ﷺ ومعنا النساء والولدان حتى أتينا ذا الحليفة فلبينا بالحج، وأهللنا عن الولدان ».

وفى رواية : « فلبينا عن الصبيان، ورمينا عنهم ».

هكذا يصطحب الصحابة أطفالهم مع رسول الله ﷺ فى رحلة الحج، ولا يتركونهم. فى البيوت بعيدين عن آبائهم وأمهاتهم ما داموا قادرين على النفقة عليهم، فلا يحرمونهم من النفحات الإلهية، والأنوار النبوية، إنهم يورثونهم الدين عملياً فى واقع التطبيق، ويتحملون المشقات عنهم فى سبيل الأجر من الله والتنشئة الصالحة، وفقنى الله وإياك لحسن الاقتداء.

بقى سؤال أخير:هل إذا أخطأ الصبى فى أعمال الحج عليه كفارات ؟.

قال يحيى بن محمد: معنى قول أبى حنيفة على ما ذكره أصحابه، أنه لا يصح صحة يتعلق بها وجوب الكفارات عليه؛ إذا فعل محظورات الإحرام، زيادة فى الرفق، لا أنه يخرجه من ثواب الحج[1].

(١) بذل المجهود (٨/ ٣١٩).

الأساس العبادى الخامس : الزكاة[1]:

أخرج أبو داود عن عمرو بن شعيب ـ رحمه الله ـ عن أبيه عن جده : أن امرأة أتت رسول الله ﷺ ومعها ابنة لها، وفى يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب ، فقال لها: « أتعطين زكاة هذا؟» قالت :لا، قال : «أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟» فخلعتهما ، فألقتهما إلى النبى ﷺ وقالت : هما لله ولرسوله .

وأما عن زكاة الفطر:

فقد أخرج البخارى ومسلم ومالك والنسائى وأبو داود عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر، صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على كل عبد، وحُرٍّ ، صغير أو كبير[2] .

ونلاحظ أن هذه العبادة فرض وليست نفلاً، ومن هنا نلاحظ حرص الإسلام على بقاء الأموال طاهرة مزكاة : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة:١٠٣].

الأساس العبادى السادس : تعليم الطفل حسن الدعاء وسننه :

« الدعاء هو العبادة »[3] كما قال النبى ﷺ وفى رواية : « الدعاء مخ العبادة »[4] ، فهو حصيلة الطاعات ووسيلة لمناجاة الله تعالى فى الشدة والرخاء ، وفى المرض والصحة، وفى الفقر والغنى، وفى مواجهة كل الأخطار التى تحصل للطفل .

إنه الحل لإزالة كل عقيدة نفسية تواجه الطفل، أن يُعوَّد الالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء.

---

(١) الشافعية قالوا: بفرض الزكاة على الأطفال، والحنفية قالوا:بعدم فرضيتها. انظر: بدائع الصنائع(٢/ ٤، ٥).

(٢) رواه الدارقطنى عن ابن عباس (٢/ ١٥٠) وعن جابر (٢/ ١٥١).

(٣) رواه أحمد والترمذى وقال: حسن صحيح (عن النعمان بن بشير) وقال الحاكم:صحيح عن البراء، وقال النووى: أسانيده صحيحة: انظر: الجامع الصغير (٣/ ٥٤٠).

(٤) رواه الترمذى عن أنس ﷺ ورمز السيوطى لضعفه فى الجامع الصغير (٣/ ٥٤٠).

إنه الطريق السهل فى زيادة قوة الطفل فى النفسية فى تحقيق ما يطمح إليه، ويصبو له.

فإذا أراد النجاح فى المدرسة يُعلم الدعاء، وإذا طمح إلى التفوق فيعلم الدعاء، وإذا أشكل عليه شيء من الدرس فيعلم الدعاء، وإذا لم يملك النقود لشراء حاجياته الدراسية أو البيتية فيعلم الدعاء .

فالدعاء سلاح يستخدمه الطفل فى كل لحظة وفى كل آن، مما يجعله فى حالة أمل مشرق لا يتسرب إليه الشيطان بإلقاء اليأس فى قلبه، ويجعله متفاعلاً مع الحياة الواقعية، فهو يطلب من الله تعالى تحقيق آماله وأشواقه وطموحاته، فهو يطلب ممن بيده الملك وهو على كل شيء قدير .

أخرج أبو داود ـ بسند صحيح ـ عن ابن المغفل ﷺ أنه سمع ابنه يقول: اللهم، إنى أسألك القصرَ الأبيض عن يمين الجنة، إذا دخلتُها، فقال: أى بُني، سل الله الجنة وتعوذ به من النار، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: « سيكون فى هذه الأمة قومٌ يعتدون فى الطهور والدعاء » ورواه أحمد وابن ماجه[1].

هكذا يعلم الصحابة أبناءهم حسن الإتباع، وعدم الاعتداء فى الدعاء، بل إن رسول الله ﷺ ليعلم ابن عباس طريقة مواجهة الحياة الصعبة، ويرسم له الخطوات، ويُعرفه أن الفاعل الحقيقى فى هذا الكون هو الله تعالى، وأن الالتجاء إليه فى كل شأن هو سبيل النجاح، وهو سبيل المؤمنين الصادقين .

روى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:كنت خلف النبى ﷺ يوماً فقال: « يا غلام، إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك. احفظ الله تجدْه تُجاهكَ. إذا سألت فاسْأل الله. وإذا استعنتَ فاستعن بالله » .

فأى منهج تربوى فى التاريخ غير المنهج النبوي، يستطيع أن يختصر تلك التوجيهات النبوية، ويُغذى الطفل بمثل تلك المعانى الإيمانية؟!

(١) انظر: جامع الأصول، تحقيق الأرناؤوط (٤/ ١٦٠).

بل أى كتاب يستطيع أن يختزل تلك المعانى بأقل من تلك العبارات النبوية؟!

إنها النبوة، فقد أوتى ﷺ جوامع الكلم فى كل ميادين الحياة .

وإنه تعليم الطفل الالتجاء إلى الله ـ تعالى ـ بلا واسطة من كبير أو صغير، وحتى والديه المقربين .

إنه مواجهة الطفل مع خالقه بالتقرب إليه بالدعاء، والطلب منه بالدعاء، وطلب حل المشكلة بالدعاء، هكذا تفعل التربية النبوية فى الأطفال، وهكذا تفعل العبادة، بل مخ العبادة فى الأطفال.

وروى النسائى وابن خزيمة والطبرانى فى الكبير وابن عساكر وسعيد بن منصور عن أبى أمامة ﷺ والطبرانى عن أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال: « ألا أَدُلُّك على شيء هو أكثرُ من ذكرك الليل مع النهار، والنهار مع الليل ؟ قل : الحمد لله عدد ما خلق، والحمد لله ملء ما خلق، والحمدُ لله عدد ما فى السموات والأرض، والحمد الله ما أحصى كتابه، والحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله مِلءَ كُلِّ شيء .

وسبحان الله عدد ما خلق، وسبحان الله ملء ما خلق، وسبحان الله عدد ما فى السموات والأرض ، وسبحان الله عدد ما أحصى كتابُهُ، وسبحان الله عدد كل شيء، وسبحان الله ملء كل شيء .

تَعَلَّمَهُنَّ، وعَلِّمهُنَّ عَقِبَكَ مِنْ بَعْدِك » . كنز العمال (١/ ٤٤١)

هكذا يوصى ﷺ أصحابه بتعليم أطفالهم الدعاء وذكر الله تعالى، فهل يتحرك الغيورون على دين الله تعالى لمثل هذا ؟! اللهم وفقنا لذلك.

وإن الرسول ﷺ لينقل لنا، ويعلمنا، ويخبرنا أن سيدنا نوحا_عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ أوصى ابنه قبل وفاته بذكر الله ـ تعالى :

فروى عن النبى ﷺ أنه قال : « ألا أخبُركم عن وصية نوح ابنه حين حضرَهُ الموتُ وقال: إنى واهبٌ لكَ أربع كلمات من قيام السموات والأرض، وهن أولُ كلمات دخولاً على الله، وآخرُ كلمات خروجاً من عنده، ولو وزنَ بهن أعمال بنى آدم لوزنتهُنّ، فاعملْ بهنّ، واستمسك حتى تلقاني، أن تقول: سبحان الله، والحمدُ الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر .

والذى نفسُ نوح بيده، لو أن السموات والأرض؛ وما فيهنّ، وما تحتهنّ، وزِنّ بهؤلاء الكلمات لوزَنتهُنَّ » . رواه الحكيم الترمذى والديلمى عن معاذ بن أنس .

وفى رواية ابن أبى شيبة عن جابر: « ألا أعلمُكم ما عَلَّمَ نوحٌ ابنه، آمرُك بقول : لا إله إلا الله، وَحْدَهُ لا شريك له، لهُ المُلْكُ؛ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ .

فإن السمواتِ لو كانت فى كفَّةٍ لرجَحَتْ بها، ولو كانت حلقةً قَصَمَتْهَا ،وآمرُك بسبحان الله وبحمده فإنها صلاةُ الخلقِ، وتسبيحُ الخلق، وبها يُرزق الخلق» [1] .

فالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يورثون أبناءهم الصلة بالله تعالى، والكلمات التى تقربهم من الله تعالى، ويورثونهم عبادة التوحيد لله تعالى.

الأساس السابع: تعليم الطفل النشيد الإسلامى:

النشيد يحرك العاطفة، ويستجيش فى النفس دواعى الحركة، ويغذيها بحسب المعانى التى تنشد، فإذا كان النشيد إيمانياً، ازدادت نفس الطفل إيماناً، وإذا كان جهادياً ازدادت النفس حبًا للجهاد فى سبيل الله، وفداء للوطن الإسلامي، وهو أسلوب أهل الأنصار،فى استقبالهم لرسول الله ﷺ يوم الهجرة . كما أنه أسلوب الصحابة رضوان الله عليهم قبل البدء فى المعارك، يرتجزون الشعر ليثيروا الحمية الإيمانية.

---

(١) انظر : كنز العمال (١/ ٤٧١) .

قال القسطلانى فى المواهب اللدنية (٢/ ١٦٥) : « وفرح أهل المدينة بقدومهﷺ وأشرقت المدينة بحلوله فيها وسرى السرور إلى القلوب، قال أنس بن مالك ﷺ :لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء[٢] وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير [٢] عند قدومه يقلن :

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع[٣]

قلت (أى القَسْطَلاني) : إنشاد هذا الشعر عند قدومه ﷺ المدينة رواه البيهقى فى الدلائل، وأبو بكر المقرئ فى كتاب الشمائل له عن ابن عائشة، وذكره الطبرى فى الرياض عن ابن الفضل الجمحى .

ثم قال: وفى شرف المصطفى وأخرجه البيهقى عن أنسﷺ : لما بركت الناقة على باب أبى أيوب، خرج جوار من بنى النجار بالدفوف يقلن :

نحن جوار من بنى النجار ... يا حبذا محمد من جار

فقال ﷺ : « أتحببننى ؟ » قلن : نعم يا رسول الله، وفى رواية الطبرانى فى الصغير فقال ﷺ : « الله يعلم أنى أحبكن » .

وقال الطبرى : وتفرق الغلمان والخدم فى الطريق ينادون : جاء محمد، جاء رسول الله.

قال الزرقانى فى شرحه : الحاكم فى الإكليل عن البراء ولفظه : «فخرج الناس

---

(١) أخرجه الترمذى فى المناقب وقال : حديث صحيح غريب ، وابن ماجه فى الجنائز ، قاله الزرقانى فى شرحه على المواهب (٢/ ١٦٥) .
(٢) الأجاجير : الأسطحة .
(٣) زاده رزين، قاله الزرقانى .

حين قدم المدينة فى الطرق والغلمان والخدم يقولون :

جاء محمد رسول الله، الله أكبر، جاء محمد رسول الله ».

وجاء فى السيرة الحلبية لعلى بن برهان الدين الحلبى (١/ ٢٣٤) :

وعن عائشة رضى الله عنها: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن : طلع البدر علينا .. الأبيات.

هكذا فرح أهل المدينة وغلمانها بقدوم رسول الله ﷺ ، وتلقوه بالدفوف وأهازيج الشعر فرحاً وطرباً وبهجة وسروراً به ﷺ .

فلا مانع من إشباع روح الطفل بمثل تلك الأناشيد الإيمانية؛ لتحرك مشاعره وأحاسيسه.